

أنا وأنت على الطريق

الصمت عدو خفي يدمر الحياة الزوجية

الصمت عدو خفي يدمر الحياة الزوجية.... هذا ما جاء في أحد التقارير سيدتي والتي أوردته الصحيفة العربية. فتعالى سيدتي نستمع إلى ما جاء فيه من أفكار هامة. يقول التقرير:

ليس هناك أجمل من التواصل وشعور المرء أن هناك آخر يسمعه ويتأثر بكلامه. يشاركه لحظات السعادة البريئة ويخفف عنه هموم الحياة وأحزانها. ساعتها تنطلق المشاعر التي كانت حبيسة وتغرد في عش الزوجية مع شريك الحياة ونصفها الحلو. كذلك يعيد حوار بسيط المعنى للحياة، ويهون مصاعب كثيرة. أما افتقاده فإنه يجعل الحياة بين الزوجين كالموت ويحيلها إلى صحراء جافة ، لا ينمو فيها سوى الملل والفتور والكراهية الصامتة بين الطرفين. ومع مرور الأيام يصبح عش الزوجية كئيباً ومعتماً أو صامتا صمت القبور. لاشك أن الحياة الزوجية السوية تساعد الطرفين على الشعور بالتحقق والتوافق النفسي وتتيح الفرصة لكل منهما كي يتبنى أنماطا سلوكية إيجابية ومقبولة اجتماعيا. والأهم أنها تسهم بشكل فعال في إعادة اكتشاف الذات واستخراج الطاقات الكامنة وتنظيمها في سياق أسري مترابط يعطي للحياة أجمل معانيها.

ويعدُّ الصمت بين الزوجين أحد الأسلحة الهدامة التي تقضي على التوقعات الإيجابية المأمولة من الحياة الزوجية والتي تجعل كل شاب أو شابة يضحى بأشياء كثيرة. منها قدر من حريته الشخصية في سبيل تأسيس حياة زوجية سعيدة. وعادة يترتب على الصمت الذي تغرق فيه العلاقة الزوجية حدوث أزمة حقيقية. فالزوج يشعر أنه يشقى في العمل، وأن زوجته لا تقدر تضحياته أو ما يبذله من جهد. والزوجة من جهتها تشعر أن زوجها يهملها، وأنه يعاملها كما لو كانت شيئا من أشياء البيت ليس أكثر. إنه لا يحترمها ولا يستشيرها في أمر، ولا يهتم بمشاعرها. وإن فعل فلكي يتجنَّب الإحراج أمام الآخرين فقط. من هنا يسود جو من عدم التفاهم، وعدم الثقة، نتيجة لانقطاع التواصل بين الزوجين. كما أن معدل الحديث بينهما قد لا يتجاوز الدقائق يوميا. وقد يكون عن أمور تافهة لا أهمية لها، مثل شراء ملابس الطفل أو ماذا تأكل غدا، وماذا قالت فلانة. هذا الانقطاع وعدم التواصل هو السبب الأكبر في سوء التفاهم وفي الانفصال الرسمي أحيانا. فالطلاق العاطفي والنفسي قد يسبق الطلاق الفعلي، وحين يسود الصمت بين الزوجين لا يعود هناك مجال للتفاهم، إلا إذا قرر الاثنان العودة.

إذن الصمت بين الزوجين هو عدو خفي سرعان ما يدمر أو يقضي على الحياة الزوجية. وعدم البوح أو عدم الكلام والتواصل بينهما لا بدَّ أن يؤدي بالزواج إلى طريق الانحدار ومن ثم الاندثار. ويحدث الانفصال ومن ثم الطلاق الفعلي. وتنتهي العلاقة إلى

غير رجعة. قالت لي صديقتي يوماً: تمضي أيام وأسابيع والصمت يسود في بيتنا وعلى علاقتنا الزوجية. ويعيش كل منا في عالمه الخاص ولكن تحت سقف واحد. أتعلمين سيدتي ماذا حصل لهذا الزواج؟ بالطبع الشيء المتوقع ألا وهو الانفصال ومن ثم الطلاق.

فهل تحرصين سيدتي على إقامة علاقة تواصل بينك وبين زوجك حتى ومهما اشتد الخلاف بينكما؟ وهل تحرص أنت سيدتي المستمع أيضاً على استمرار التواصل مع زوجتك شريكة حياتك ومهما كانت الأسباب التي تحفزك على الصمت؟ وإذا كنت تهتمين فعلاً في استمرار علاقتك الزوجية للحفاظ على زواجك سليماً ومعافى، فهل تهتمين أيضاً بعلاقتك مع الله خالقك الذي خلقك ونفخ في أنفك نسمة الحياة؟ قد تقولين وكيف وماذا تعنين؟ أعود إليك بعد هذا الفاصل لأخبرك ماذا أعني بهذا الكلام...

كما أن الإنسان يتوق دائماً يا سيدتي إلى الانسجام والالتحام القوي بينه وبين شريك حياته لاستمرار الزواج، هكذا أيضاً تتوق نفسه وروحه الخالدة إلى علاقة حية مع الله تعالى. أو بالأحرى، إن الله خالقنا هو الذي وضع هذا الشوق وهذه الرغبة في داخل كل إنسان على هذه الأرض ومنذ بداية الخليقة. خذي مثلاً يا سيدتي النبي والملك داود في القديم. فلقد عبر عن توفقه إلى الله واشتياقه إلى العلاقة معه ومثل هذا الشوق وهذه الرغبة بالعطش الكامن في داخله. فقال:

يا الله إلهي أنت. إليك أبكر. عطشت إليك نفسي يشتاقي إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء. لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك. لأن رحمتك أفضل من الحياة. شفّاتي تسبحانك.... إذا ذكرتك على فراشي في السهد ألهج بك. لأنك كنت عوناً لي وبطل جناحيك أبتهج. ... مزمور ٦٣

ترى هل لديك هذه الرغبة وهذا الشوق في داخلك مثل داود النبي يا سيدتي؟ شوق في إرواء ظمئه، إذ يشعر أنه في أرض ناشفة ويابسة بعيداً عن الماء الحي الذي يروي ظمأه الشديد. كان وحيداً يشتاقي إلى من يبثه أشجاناً للتخفيف من إحساسه بالوحدة. فلا عجب أن صرخ يا الله إلهي أنت. ثم وصل داود النبي إلى نتيجة هامة جداً ألا وهي أن رحمة الرب هي أفضل من الحياة نفسها. والمعنى أن الإنسان الذي يتمتع برحمة الرب عليه والذي اختبر غفرانه لخطاياهم، فهذا أفضل شيء في الحياة. لأنه عندئذ يصبح هذا الإنسان في علاقة وشركة حميمة بينه وبين الله خالقه وهكذا فلن تعود الحياة تهمُّه. لأنه اكتشف سر الحياة نفسها. وهي العلاقة الحميمة مع الله من خلال الفادي والمخلص المسيح الذي ينقذ كل من يؤمن به من الانفصال الأبدي عن الله تعالى. فهل اختبرت رحمة الرب في حياتك يا سيدتي؟ وهل تحرصين على إتمام هذه الرغبة وهذا الشوق في قلبك ونفسك وروحك، فنتمتعين عندها بسلام وطمأنينة ورحمة الرب؟
